

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي عَايَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي
النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: 40]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

آيَاتُ الْكَوْنِ لَا
يُمْكِنُ تَعْطِيلُهَا،
وَأَيَّاتُ الْوَحْيِ
لَا يُمْكِنُ إِبْطَالُ
هَدَايَاتِهَا

لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ آيَةَ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَكَانَتْ
تِلْكَ آيَةً وَجُودِيَّةً وَمُعْجَزَةً كُونِيَّةً لَا يُسْتَطَاعُ خَرْقُهَا أَوْ إِيقَافُ تَجَدُّدِهَا؛
ذَكَرَ هُنَا آيَاتِ إِحْيَاءِ الْقُلُوبِ، آيَاتِ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَاتِ، مُتَوَعِّدًا أَشَدَّ
الْوَعِيدِ مَنْ يَتَوَهَّمُونَ خَرْقَهَا أَوْ تَعْطِيلَ هَدَايَاتِهَا بِالْإِلْحَادِ فِيهَا،
فَتَوَعَّدَهُمْ وَهَدَّدَهُمْ؛ لِإثْبَاتِ أَنَّ الْآيَاتِ وَاحِدَةٌ فِي عِصْمَتِهَا وَحِفْظِهَا،
سِوَاءَ أَكَانَتْ آيَاتِ الْكَوْنِ الْمَنْظُورِ، أَمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَسْطُورِ.

لَمَّا بَيَّنَّ فِي السِّيَاقِ السَّابِقِ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ هِيَ أَحْسَنُ الْمَنَاصِبِ
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: 33]، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الدَّعْوَةَ
إِلَى اللَّهِ تَعْتَمِدُ عَلَى بَيَانِ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَالرَّسَالِيَّةِ الَّتِي هِيَ دَلَائِلُ
تَوْحِيدِهِ، وَبِرَاهِينُ وَجُودِهِ، أَقْبَلَ هُنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ
عَلَى مَنْ يُتَنَازَعُ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ، وَيَحَاوِلُ الْقَاءَ الشُّبُهَاتِ فِيهَا، فَقَالَ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي عَايَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (1).

✽ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يُلْحِدُونَ﴾: (لحد) أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى مَيْلٍ عَنْ اسْتِقَامَةٍ. يُقَالُ:
أَلْحَدَ الرَّجُلُ، إِذَا مَالَ عَنْ طَرِيقَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ (2)، وَالْمَعْنَى الْمَحْوَرِيُّ:
الْعُدُولُ - فِي الْاسْتِقْرَارِ - عَنِ الْوَسْطِ إِلَى الْجَانِبِ مَيْلًا عَنِ الْوَسْطِ:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 568 / 27.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لحد).

كَالْحَدِّ لِلْمَيِّتِ⁽¹⁾، وَاللَّحْدُ: حَفْرَةُ مَائِلَةٌ عَنِ الْوَسْطِ، وَقَدْ لَحَدَ الْقَبْرَ
وَأَلَحَدَهُ: حَفَرَهُ. وَلَحَدَ بِلِسَانِهِ إِلَى كَذَا: مَالَ. وَأَلَحَدَ فُلَانٌ: مَالَ عَنْ
الْحَقِّ⁽²⁾. وَالْإِلْحَادُ فِي الْآيَةِ يَعْنِي الْمِيلَ بِالْآيَاتِ عَنِ الصَّوَابِ بِإِنْكَارِهَا
أَوْ تَحْرِيفِهَا.

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

جاءت هذه الآية الكريمة بالتهديد والوعيد لمن يميلون بآيات الله
عن وجوهها، فيُنزّلونها على غير منازلها، فتقول الآيات: إِنَّ الَّذِينَ
يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ فِي شَأْنِ آيَاتِنَا بَأْسٌ يُؤْثِرُهَا تَأْوِيلًا فَاسِدًا، أَوْ يُقَابِلُوهَا
بِاللُّغُو فِيهَا وَعَدَمِ التَّدَبُّرِ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْجِيهَاتٍ حَكِيمَةٍ. هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾؛ أَي: لَيْسُوا بِغَائِبِينَ عَنِ عِلْمِنَا؛
بَلْ هُمْ تَحْتَ بَصَرِنَا وَقُدْرَتِنَا، وَسُنْجَازِيهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عِقَابٍ
مَهْمَا أَلْحَدُوا وَمَالُوا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ⁽³⁾. أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ لِإِلْحَادِهِ
بِالْآيَاتِ، وَتَكْذِيبِهِ لِلرَّسُولِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ آمَنَ بِهَا، وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ
الْآمِنِينَ حِينَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ لِلْعَرْضِ عَلَيْهِ وَالْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ؟ لَا
شَكَّ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ⁽⁴⁾. فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالطَّرِيقُ الْمُنْجِي
مِنْ عَذَابِهِ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُهْلِكِ قَالَ: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾؛ أَي: إِنْ شِئْتُمْ
فَاسْلُكُوا طَرِيقَ الرُّشْدِ الْمَوْصَلَةَ إِلَى رِضَا رَبِّكُمْ وَجَنَّتِهِ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَاسْلُكُوا
طَرِيقَ الْغِيِّ الْمُسْخِطَةَ لِرَبِّكُمْ، الْمَوْصَلَةَ إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ؛ لِأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ -
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يُجَازِيكُمْ بِحَسَبِ أَحْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]⁽⁵⁾.

ما من عامل إلا
وعمله من الله
مشهود

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (لحد).

(2) الزّاغب، للفردات: (لحد).

(3) طنطاوي، الوسيط: 357/12.

(4) الراغب، تفسير الراغب: 137/24.

(5) السّعدّي، تيسير الكريم الزّحمن، ص: 750.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

مَوْفِعُ جُمْلَةٍ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾:

الإلحاد في آيات
الله جنابة
تستحق الوعيد

جملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ استئناف ابتدائي⁽¹⁾ انتقل به من تقرير الآيات في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ إلى تهديد من عدل عنها وألحد في مضامينها ومقاصدها، فنزلها على غير منازلها، ولم يستخلص منها ما جعلت له من تجلية الحق، وتقرير الإيمان.

غرض التصدير بالتوكيد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾:

توكيد الوعيد
إذنان بشدة
العقوبة

صدر الاستئناف في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ مؤكداً؛ لتعزيز الوعيد الذي تضمنته الجملة، فيتأكد للمخاطب هوْلُهُ. كما يدل التوكيد على غضب المتوعد وجلاله، فيلجأ السامع للخشية والتعظيم والتوقي والاحتراز. وتأكيد جملة التهديد فرع عن كثرة المستحقين له، فلاجل كثرة المتورطين في الذنب، يساق لهم الإنذار مؤكداً؛ لأن الكثرة مانعة من تناول الوعيد بقوة وجدّة، وحاجة عن النظر العاصم منه، فيؤكد لهم لينالوه بعزم وحزم من غير استسهال أو استقلال.

دلالة التعبير بالموصولة: ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾:

الإلحاد في الدين
يفسد المصير كما
يفسد القلوب
والعقول

جاء التعبير بالموصول وصلته في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ في ﴿آيَاتِنَا﴾ لإجراء وصف الإلحاد على ذواتهم، فتركيب ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يجمع بين الذات والفعل، فترتبط الجنابة في ذهن السامع بهؤلاء الأشخاص، فيربط ذمهم بعملهم السيئ مباشرة. ففي الموصولة - إذن - إظهاراً لصفاتهم المذمومة (الإلحاد) على أنها السمة البارزة لهؤلاء الأشخاص، مما يجعل ذمهم وتعريتهم أمام المخاطبين واضحاً. ولا يخفى ما فيه من التشهير بهم والتحذير منهم؛ لأن الموصول أظهر فتنهم وعين جماعتهم. كذلك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 304 / 24.

أفاد الموصولُ شموليّة الإدانة بدلالته على العموم، فيتسع ليشمل كلَّ مَنْ يَتَّصِفُ بهذه الصّفة (الإلحاد في الآيات)، فيجعل الحكمَ عامًّا لكلِّ مَنْ ينحرفُ عن آياتِ الله أو يحاولُ تحريفها أو ردّها. كذلك: التّعبيرُ بالموصوليّة أشعَرَ بعليّة استحقاق الوعيد، فصدورُ الإلحادِ منهم هو علةُ ذلك التّهديدِ وسببُ استحقاقِ الوعيدِ.

دلالة التّعبيرِ بالمضارع: ﴿يُلْحِدُونَ﴾:

التّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يدلُّ على استمرارِ الفعلِ وتجدُّده، تنبيهًا على أنّ الإلحادَ في آياتِ الله ليس حَدَثًا مُنْقَطِعًا؛ بل هو فعلٌ مُسْتَمِرٌّ ومُتَجَدِّدٌ، يعبرُ عن ديمومةِ حالهم وديدنهم.

مَنْ يَسْتَمِرُّ فِي
تَحْدِي الْحَقِّ
تَسْتَمِرُّ مَعَانَاهُ

كذلك التّعبيرُ بالمضارعةِ في: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ يُظهِرُ خطورةَ الفعلِ، حيث إنّ الفعلَ المضارعَ يدلُّ على أنّ الإلحادَ يجري في الحاضرِ، وكأنَّ المشهدَ حيٌّ وماثِلٌ أمامَ السّامعِ، ممّا يزيد من وقع الآية وأثرها التّحذيريّ.

كذلك: اقترانُ المضارعةِ بواو الجماعةِ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ يوحي بشمولِ مدلولِ المضارعِ واتّساعِهِ لكلِّ مَنْ يَتَّصِفُ بالإلحادِ في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ، فهو ليس محصورًا في جيلٍ معيّن؛ بل يتّسع ليشملَ كلَّ مَنْ يَتَّصِفُ بتلك الجناية.

كذلك المضارعةُ تدلُّ على الاستمرارِ في المعاندة، فهم مُسْتَمِرُّون في إلحادهم رغم وضوح الآيات وقيام الحجّة عليهم، فيتأكّد بذلك استحقاقُهم للعقوبة.

بلادة الاستعارة في ﴿يُلْحِدُونَ﴾:

في قوله: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ استعارةٌ تصرّحيةٌ، حيث صرّح بلفظِ الإلحادِ (وأصله: الميلُ أو الانحرافُ عن الشّيء المستقيم)، وأريد به المعنى المجازيُّ، وهو الانحرافُ عن الحقِّ أو تحريفُ الآياتِ وتكذيبُها.

الاستعارةُ تمنحُ
المعنى المُجَرَّدَ
صورةً جِسْديَّةً
لملموسةً

وجهُ الشَّبَه: الانحرافُ في الإلحادِ الحقيقيِّ (كالميلِ عن وسطِ الحُفْرةِ) ⁽¹⁾ يُقابله الانحرافُ المعنويُّ عن الحقِّ في الآياتِ. والقرينةُ: سياقُ الآيةِ الذي يدلُّ على عدمِ إمكانيَّةِ الإلحادِ الحِسيِّ في الآياتِ، ممَّا يجعلُ المعنى مجازيًّا بوضوحٍ. وأركانُ هذه الاستعارةِ كالآتي:

المُستعارُ منه (المُشَبَّه به): الميلُ والانحرافُ الحِسيُّ مثلُ الميلِ في القبرِ أو عن الطَّريقِ المُستقيمِ.

المُستعارُ له (المُشَبَّه): الميلُ والانحرافُ عن الحقِّ أو تحريفُ الآياتِ وتكذيبُها.

وجهُ الشَّبَه: الانحرافُ عن الاستقامةِ في الجانبِ الحِسيِّ يُشَبَّه الانحرافَ عن الحقِّ في الجانبِ المعنويِّ.

القرينةُ: السَّيَاقُ الذي يجعلُ الإلحادَ بمعناه الحِسيِّ غيرَ جائزٍ، فيؤولُ إلى المعنى المجازيِّ (الانحرافُ عن آياتِ الله).

إجراءُ الاستعارةِ: شَبَّهَ المُنحَرِفَ عن آياتِ الله بِمَنْ يميلُ عن الطَّريقِ المُستقيمِ. حُذِفَ المُشَبَّه به (الميلُ الحِسيُّ)، وَصُرِّحَ بلفظه **﴿يُلْجِدُونَ﴾** على سبيلِ الاستعارةِ النَّصْرِيَّةِ. وعليه: فقوله: **﴿يُلْجِدُونَ﴾** مُستعارٌ للتَّعبيرِ عن الانحرافِ عن الحقِّ وتحريفِ الآياتِ ⁽²⁾.

دلالةُ ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي عَائِتِنَا﴾:

حرفُ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: **﴿يُلْجِدُونَ فِي عَائِتِنَا﴾** للظَّرفِيَّةِ المجازيَّةِ، وأفادَ هنا: "تمكَّنَ إلحادُهم حتى كأنَّه مطروَّفٌ في آياتِ الله حيثما كانت أو كلَّما سمعوها" ⁽³⁾. واقتُرأنه بالآياتِ له دلالاتٌ:

منها: الدَّلالةُ على الإحاطةِ والتَّعلُّقِ: فالإلحادُ يقعُ ضمنَ مجالِ الآياتِ نفسِها، أي: إنَّهم يُمارسونُ الإلحادَ بالتَّلَاعُبِ بمعانيها أو

(1) الرَّاغِب، المفردات: (لحد).

(2) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 304 / 24.

(3) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 304 / 24.

الإلحادُ في
آياتِ اللهِ يَنالُ
من جَوهَرِها
وَعُمُقِها

إنكارها أو تحريفها، وذلك يُظهر أثرهم العظيم في النّيل من جوهر الآيات ومضامينها.

ومنها: التّعقُّق في الانحراف: استخدام ﴿فِي﴾ يوحي بأنّهم لا يكتفون بإنكار الآيات من الخارج؛ بل يتوغّلون في داخلها ومضامينها وباطنِها بغرض التّشكيك والتّأويل الباطل، أو تحريف دلالاتها، ممّا يزيد من شناعة فعلهم، ويدلّ على بذل الجهود الوافر من قبلهم.

ومنها: التّخصيص والتّعيين: فحرّف الطّرفيّة يُحدّد السياق والمجال الذي يحدث فيه الإلحاد، وهو آيات الله، فتنبّت بذلك التّهمة عليهم، ويتجلّى عظم جنايتهم، لاستهذابهم كلام الله رأساً.

بلاغة الكناية في: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾:

في قوله: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ كناية عن كمال علم الله وشموله لكل شيء بطريقة غير مباشرة. فهنا معنى قريب (مُصرّح به): عدم خفائهم على الله. ومعنى بعيد (المكنى عنه): إحاطة الله التامة بأفعالهم وأحوالهم وظاهرهم وباطنهم، بما يستلزم علمه المطلق الكامل.

لا شيء يخفى
على الله مهما
كان الإنسان
مُحتالاً في
إخفائه

وللكناية هنا دلالات؛ منها: إظهار العلم الكامل؛ فتركيب: ﴿لَا يَخْفَوْنَ﴾ يوحي بأنّ الله يعلم أدقّ تفاصيل أفعالهم وأحوالهم، فلا يقتصر على ظاهرها فقط، ومنها: التهديد والوعيد؛ فالكناية تلمح إلى أنّ أفعالهم مرصودة ومحسوبة، فيضفي على النّظم إيقاع التحذير والنّذير، ومنها: الإشارة إلى استحالة الإخفاء؛ فالكناية تحمل دلالة ضمنيّة على أنّ أفعالهم مهما كانت خفية بالنسبة للنّاس؛ فهي مكشوفة أمام الله، ومنها: التّلطيف والإيجاز؛ فبدلاً من التّصريح بعلم الله الشّامل، جاء التّعبير بصيغة نفي الخفاء، مما يضيف على النص بلاغةً وجمالاً في التّركيب.

بلاغة التلطيف والإيجاز في إثارة التركيب:

استحضار ثبوت
الكمال في صفة
العلم في ذهن
السامع من
طريق نفي ضده

في التعبير بنفي الخفاء دون التصريح بثبوت العلم في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ مراعاةً للتلطيف والإيجاز؛ فأما (التلطيف)؛ فلم يقل في السياق الكريم: (نحن نعلمهم)، أو (نحيط بأفعالهم)، بالتصريح بالثبوت؛ بل جاء التعبير بنفي الخفاء ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، وهذا الأسلوب أكثر لطفًا من التصريح المباشر؛ لأنه يترك للسامع مساحة ذهنية لاستحضار معنى العلم المطلق، مما يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا وإقناعًا دون مواجهة صريحة، بل يكله إلى استنتاجه الذاتي، فيشعر السامع برقابة دقيقة، ولكن بطريقة غير مُستثقلة ولا ممجوجة، مما يُضفي على النظم خفةً في هيبة، وجلالاً في سعة من المعنى.

تكاثف معاني
كمال العلم من
طريق الإيجاز

وأما الإيجاز؛ فالتعبير بنفي الخفاء أخصر في اللفظ، وأوسع في المعنى؛ لأن نفي الخفاء يستلزم ثبوت الكمال في صفة العلم، وليس إثبات العلم بمستلزم عدم الخفاء إلا بالتقييد بالكمال، فيجرّ ذلك القيد إلى إطالة قد أغنى عنها وجازة التركيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ﴾، فبدلاً من شرح مُطوّل أو جملة تحمل تفاصيل عن علم الله، جاء التعبير بجملة قصيرة تعني عن ذلك، مما يحقق بلاغة التكثيف في المعنى باستخدام كلمات قليلة.

معنى النفي في ﴿لَا يَخْفَوْنَ﴾:

استمرار النفي
يؤكد المراقبة
الإلهية الدائمة

معنى نفي خفائهم في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ هو نفي خفاء الحادهم، لا خفاء ذواتهم؛ إذ لا غرض في العلم بذواتهم، لأن التكليف منوط بالأفعال لا بالذوات⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالمضارع ﴿لَا يَخْفَوْنَ﴾:

صيغة المضارع المنفي ﴿لَا يَخْفَوْنَ﴾ أفادت النفي المستمر للفعل،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 24.

فيدلّ على استحالة إخفاء أفعالهم عن الله سبحانه، وعلى ثبوت استمرارية علم الله وإحاطته بكلّ شيء في كلّ زمان، مع دلالة ضمنيّة على عجزهم التامّ عن التسترّ أو التحايل.

معنى (على) في: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾:

إحاطةُ الله في
علمِهِ داحضةٌ
لكلِّ تسرٍّ
وخفاءٍ

حرف (على) في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ يُفيد الاستعلاء المجازي، والتعبير بـ ﴿عَلَيْنَا﴾ بدلاً من (عنا) أو (منّا) يحمل دلالات بلاغيّة دقيقة؛ تعود إلى التأكيد على الإحاطة الكاملة والهيمنة؛ فحرف الجرّ (على) يُفيد العلوّ والاستعلاء المجازي، فيشيرُ إلى أنّ علمَ الله مُهيمنٌ ومُستعلٍ على كلّ شيءٍ، وأنّه لا يخفى عليه شيءٌ مهما حاولوا إخفاءه، فكأنّه يقول: (لا شيءٌ من أفعالهم يعلو على علمنا بخفائِهِ وإفلاتِهِ، فلا استعلاء لهم على علمنا وإحاطتنا بخفاءٍ أو غيابٍ). فمفهومُ التركيبِ المنفّي المتعدّي بحرفِ الاستعلاء، يدلُّ على هيمنةِ الله عليهم بالعلمِ الكاملِ المطلق، ونفي إمكان أن يقع من جهتهم هيمنةٌ على علمِ الله باستخفائِهِم عن الله.

لا أحدَ بإمكانِهِ
الخروجُ
بالتّخفّي من
وُسعِ علمِ الله

ولم يقل: (عنا)؛ لأنّ التعدية بحرفِ المجاوزة، قد توحى بالابتعاد أو الغفلة المُمكنة، أو الحجب (وإنّ لم يكن ذلك جائزاً عن الله)، فإنّ ﴿عَلَيْنَا﴾ ينفي أيّ احتمالٍ للخفاء، مع تأكيد الإحاطة المطلقة والعلم المهيمن.

ولم يقل: (منّا)؛ لأنّه قد يوحي بالمشاركة أو النسب، وهو لا يليق في سياق الحديث عن الله وعلمِهِ المطلق.

الغرض من الاستفهام في: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى﴾:

الغرضُ البلاغيّ من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ هو التّقريرُ والتّوبيخُ مع إبرازِ المُفارقةِ بين حالِ الفريقين، وحيثيّات ذلك⁽¹⁾ من وجوه؛ وهي:

الاستفهام
التّقريرُ يُحرّكُ
المُخاطَبَ إلى
التّفكّرِ في مصيره

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 568، وثناء الدين، التفسير للظّهري: 8/ 300.

أَوَّلًا: التَّوْبِيخُ وَالْإِنْكَارُ؛ فالاستفهامُ يُنْكَرُ على المُكذِّبينَ والمُسْتَهْزِئِينَ بِالآيَاتِ الَّذِينَ لَا يُدْرِكُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، فيضعهم أَمَامَ صُورَةٍ وَاضِحَةٍ لِعَاقِبَةِ الْإِلْحَادِ وَالْكَفْرِ، وَهِيَ الْقَاوُضُ فِي النَّارِ.

وِثَانِيًا: إِبْرَازُ الْمُفَارَقَةِ؛ فالاستفهامُ بِمَا فِي حَيْزِهِ مِنَ التَّخْيِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا﴾ يُظْهِرُ الْفَرْقَ الْوَاسِعَ بَيْنَ حَالِ مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ، وَهِيَ حَالَةُ الْهَلَاكِ وَالْخِزْيِ، وَحَالِ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُبْرَزُ الْغِبْطَةُ وَالْفَوْزُ لِلْآمِنِينَ، وَالْخِذْلَانُ لِلْمُجْرِمِينَ.

وِثَالثًا: التَّقْرِيرُ وَالتَّأْكِيدُ؛ فالاستفهامُ فِي الْآيَةِ كَمَا سَبَقَ لِلتَّوْبِيخِ الْمُسْتَلْزَمِ لِلإِنْكَارِ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ التَّقْرِيرَ بِأَنَّ مَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْفَائِزِينَ خَيْرٌ مِنْ مَالِ الْكَافِرِينَ الْهَالِكِينَ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ فِي إِجْرَاءِ الْاسْتِفْهَامِ يَجْعَلُ الْمُسْتَمَعَ يَقْرَأُ بِالْحَقِيقَةِ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهِ؛ لَاسْتِنَاطِقِهِ بِهَا طَوْعًا.

وِرَابِعًا: الْإِلْزَامُ بِالْحُجَّةِ؛ فالاستفهامُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى التَّقْرِيرِيُّ الْإِنْكَارِيُّ يُلْزِمُ الْمُخَاطَبَ بِإِدْرَاكِ الْعَاقِبَةِ بِنَفْسِهِ، حَيْثُ لَا مَجَالَ لِلْجَوَابِ سِوَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّ مَنْ يَأْتِي آمِنًا خَيْرٌ مِمَّنْ يُلْقَى فِي النَّارِ. **وَخَامِسًا:** تَحْرِيكَ الْعَوَاطِفِ وَتَوْجِيهَ التَّفَكِيرِ؛ فَالْأَسْلُوبُ الْمَجَازِيُّ فِي الْاسْتِفْهَامِ هُنَا يُثِيرُ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ التَّفَكِيرَ فِي الْعَاقِبَةِ الَّتِي يَنْتَظَرُهَا كُلُّ فَرِيقٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يَدْعُوهُ إِلَى التَّأَمُّلِ وَاتِّخَاذِ الْقَرَارِ الْمُسْتَقِيمِ.

مَعْنَى الْفَاءِ وَدَلَالَتُهَا فِي: ﴿أَفَمَنْ﴾:

حَرْفُ (الفاء) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ يُفِيدُ الرِّبْطَ وَالتَّفْرِيعَ، وَيَحْمِلُ دَلَالَاتٍ بِلَاغِيَّةٍ مِنْهَا: التَّفْرِيعُ عَلَى مَا سَبَقَ؛ فَالْفَاءُ تَفَرِّعُ هَذَا الْاسْتِفْهَامَ عَلَى الْوَعِيدِ لِلَّذِينَ يُلْحَدُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾⁽¹⁾، فَهِيَ تَرْبِطُ حَالَهُمْ بِمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يُلْقَى الْكَافِرُ

إِظْهَارُ الْعِلَاقَةِ
السَّبَبِيَّةِ بَيْنَ
أَفْعَالِهِمُ السَّبَبِيَّةِ
وَمَا لِيَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 304 / 24.

في النَّارِ بسببِ أفعاليهِ، ومنها: التَّنبِيهُ والتَّشْوِيقُ؛ فدخلُ الفاءِ مع الاستفهامِ ﴿أَفَمَنْ﴾ يُثِيرُ انتباهَ المُخاطَبِ وَيُشَوِّقُهُ إلى معرفةِ النَّتيجةِ التي تترتَّبُ على أفعالِ هؤلاءِ. فهو يُلَفِّتُ النَّظَرَ إلى المقارنةِ بينِ حالِ الفريقينِ (أصحابِ النَّارِ وأصحابِ الجَنَّةِ)، ومنها: إظهارُ النَّتيجةِ المُترتبةِ؛ فالفاءُ تُفيدُ أنَّ الجزاءَ (الإلقاءُ في النَّارِ) هو نتيجةُ حتميةٌ لما سَبَقَ ذِكرُهُ من الإلحادِ والتَّحريفِ في الآياتِ، مما يُبرزُ عدلَ اللَّهِ في الجزاءِ، ومنها: ربطُ السَّبَبِ بالنَّتيجةِ؛ فاستخدامُها هنا يوضِّحُ العلاقةَ بينِ الإلحادِ في آياتِ اللَّهِ وبينِ العقابَةِ الوخيمةِ لِمَن يُلْقَى في النَّارِ، ويُبرزُ أنَّ هذا الجزاءَ مُترتَّبٌ بشكلٍ مباشرٍ على أفعالِهِم.

دلالةُ الموصولِ وصلتهُ في: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى﴾:

الاسمُ الموصولُ (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أفادَ العمومَ؛ فكلُّ مَنْ يُلْقَى في النَّارِ تنطبقُ عليه صفاتُ الكفرِ والإلحادِ.

إبرازُ الصِّفاتِ
والأفعالِ
كأساسٍ
للمصيرِ

وكلُّ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تنطبقُ عليه صفاتُ الإيمانِ والعملِ الصالحِ؛ فيكونُ مضمونُ الآيةِ شاملاً لكلِّ البشرِ عبرَ العصورِ، وليستْ حالةً فرديةً أو زمنيةً.

وصلةُ الموصولِ: (الإلقاءُ في النَّارِ، والأمنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) خُصَّصَ به عمومُ الموصولِ في إفراذهِ بصفاتهِ المميَّزةِ، ف(مَنْ يُلْقَى في النَّارِ) يصفُ حالَ الكافرينِ المذنبين الذين يُلْقَوْنَ في النَّارِ جزاءً لأفعالِهِم، و﴿مَنْ يَأْتِي آمِنًا﴾ يصفُ حالَ المؤمنين الذين يغشاهمُ الأمنُ والسَّلامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهذا التَّخصيصُ يُبرزُ المُفارقةَ بينِ الفريقينِ.

واستعملَ الاسمُ الموصولُ بدلاً من الاسمِ الصَّريحِ؛ مثل: (الكافرِ، والمؤمنِ)؛ لإجراءِ مضمونِ الصِّلةِ على الموصولِ، فيدفعُ المُخاطَبَ للتأمُّلِ والتَّفكُّرِ في الصِّفاتِ الجاريةِ على كلِّ فريقٍ، ليتحقَّقَ بذلكِ التَّشويقُ والتدرُّجُ في التَّصوُّرِ.

تعليلُ الجزاءِ بناءً على الأفعالِ

وأيضاً جعلُ المُستفهمِ عنه من الموصولِ وصلته: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا﴾ يُشعرُ بعليّةِ مضمونِ الصّلةِ، وهو الجزاءُ الجاري على أفرادِ الموصولِ (مَنْ) بدخولِ النَّارِ أو النّجاةِ منها، فيبينُ أنّ تلكَ العاقبةَ معلولةٌ بأفعالِهِمْ وصفاتِهِمْ؛ لأنّ الكلامَ جارٍ على تقديرِ محذوفٍ بعدِ همزةِ الاستفهامِ في: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى﴾، والمعنى: (أليحدون، فمَنْ يُلقى في النَّارِ ...)؛ فالفاءُ عاطفةُ الموصولِ على محذوفٍ مُقدّرٍ هو عِلَّةُ الجزاءِ الذي تضمّنته جملةُ الصّلةِ. فكأنّ الجملةَ الموصولةَ أبرزتْ صفاتِهِمْ وأفعالَهُمْ كأساسٍ لما لاقَوْهُ من العاقبةِ والمصيرِ.

دلالةُ التّعبيرِ بما لم يُسمَّ فاعلهُ ﴿يُلْقَى﴾:

التّعبيرُ بالمضارعِ على بناءٍ ما لم يُسمَّ فاعلهُ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ يحملُ نكاتٍ بلاغيّةً؛ منها: إبرازُ المفعولِ بهِ (المُلقى في النَّارِ)، فصيغةُ المبنيِّ للمجهولِ تُركّزُ على المفعولِ بهِ (الشخصُ الذي يُلقى في النَّارِ)، حيث هو مناطُ الاهتمامِ؛ لتوفّرِ الغرضِ عليه، ولا يخفى ما في هذا الاختزالِ التّعبيريِّ عليه من تصويرِ حالهِ المُفجّعةِ والمصيرِ الرّهبِ الذي ينتظرُهُ، بدلاً من إظهارِ الفاعلِ (مَنْ يُلقى في النَّارِ) لعدمِ تعلقِ القصدِ بهِ.

ومنها: تصديرُ الشّعورِ بالتّعظيمِ والرّهبَةِ؛ فحذفُ الفاعلِ يوحي بالرّهبَةِ والتّعظيمِ، إذ إنّ المُخاطَبَ يدركُ أنّ الفاعلَ هنا هو الله، لكنّ عدمَ التّصريحِ بذلك يجعلُ الأمرَ أكثرَ هيبةً وإجلالاً، كأنّ الجزاءَ يأتي من قوّةٍ مُطلقةٍ لا يمكنُ مقاومتُها.

ومنها: إفادةُ العمومِ والشّمولِ؛ فالتّعبيرُ بالمبنيِّ للمفعولِ يوحي بشمولِ الحُكمِ، فيعمُّ كلَّ مَنْ يستحقُّ الإلقاءَ في النَّارِ نتيجةَ أفعاله دونَ تخصيصٍ لفردٍ أو فئةٍ بعينِها.

الأهمُّ من إظهارِ
الفاعلِ هو
حالتُهُمُ الخُزي
والمصيرُ الذي
ينتظرُهُمُ

ومنها: إفادة السُرعة والتلقائية في الإلقاء؛ فبناءً الفعل لغير المعلوم يوحي بسرعة الإلقاء في النار دون مُماطلة أو استئذانٍ لهم، أو ترقّبٍ لشيءٍ، كأن الأمر يتم مباشرةً، وبحتميةٍ مُطلقة.

ومنها: تصويرُ الفعلِ كأمرٍ مُحتمٍّ؛ فالتعبيرُ بصيغةِ المبني لغير فاعله تجعلُ الإلقاء يبدو في وجدانِ السامعِ المتأمل كأنه أمرٌ حتميٌّ يجري بتقديرِ إلهيٍّ لا مَفَرٍّ منه، فهو أمرٌ حتميٌّ مَقْضيٌّ، ولذلك أُشْرِبَ بإيقاعِ الخفاءِ للفاعلِ والإبرازِ للمفعولِ.

معنى ﴿في﴾ ودلالاتها في: ﴿في النَّارِ﴾:

حرفُ الوعاءِ ﴿في﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ يُفيدُ الظَّرْفِيَّةَ المكانيةَ الحقيقيةَ: أي: إنّ الإلقاءَ مُتَّجِهَةً داخلَ النارِ نفسها، فيُعْطى ذلك تصوُّراً حسيّاً عن إحاطةِ النارِ بالكافرِ من كلّ جانبٍ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: 54]. ولا يخفى ما في ذلك من الإشارةِ إلى شِدَّةِ العذابِ، حيثُ يُحْتَجَزُ الإنسانُ مُحَاطاً بالنَّارِ بكاملِهِ وكاملِهَا، كأنه يغرُقُ فيها غَرَقاً، وكأنّها تُمسِكُ به من كلّ الجهاتِ، فلا مجالَ للهربِ أو النِّجاةِ.

كما يُصوِّرُ حرفُ الظَّرْفِيَّةِ ﴿في النَّارِ﴾ إحكامَ الحبسِ والاحتجازِ مع الإهانةِ والإذلالِ لهم؛ إذ يقعُ إلقاؤها في باطنِها مباشرةً، وهذه الصُّورةُ من الإحاطةِ الخانقةِ، والاحتجازِ المُهينِ بتغييبهم داخلها - تجتَرُّ معها صورةً لازمةً عنها، وهي حتميةُ ذلك المصيرِ واستبعادِ الخلاصِ منه؛ لأنَّ تغييبهم في دَرَكَاتِ النَّارِ بما لا مَفَرٍّ لهم معه، يُشعِرُ بأنهم في مصيرٍ دائمٍ، وبصدِّ عقابٍ أبَدٍ طويلٍ.

بلادةُ أسلوبِ الاحتباك:

جرى قوله: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ آمَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ على أسلوبِ الاحتباكِ، وهو نوعٌ من الإيجازِ تُحذفُ فيه بعضُ وحداتِ

الكافر سيُغرِقُه
العذاب من كلِّ
جانبٍ

تعميقُ التَّفَاوُتِ
بين مصيرِ المؤمنِ
ومصيرِ الكافرِ

التركيب، ومقاطع متقابلة فيه (الحذف التّقابليّ) مع وجود ما يدلُّ عليها، لتحقيق الإيجاز والاختصار دون الإخلال بالمعنى⁽¹⁾.

فيظهر الاحتباك ببلاغة فائقة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ في الحذف الأول: في الجزء الأول ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾، لم يذكر صراحةً أنه يأتي خائفًا، ولكنه مفهومٌ ضمناً من السياق؛ فالكلام على تقدير: (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ وَيَأْتِي خَائِفًا).

وفي الحذف الثاني: في الجزء الثاني ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لم يذكر صراحةً أنه لا يُلْقَى فِي النَّارِ، لكنه يُفهم بالضرورة من كونه آمناً؛ فالكلام على تقدير: (أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ويدخل الجنة).

فالحذف في كلٍّ من طرفي العبارة، مع الاكتفاء بما ورد في الطرف الآخر؛ للدلالة على المحذوف: ﴿يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ يدلُّ على فقدان الأمن والخوف. و﴿يَأْتِي ءَامِنًا﴾ يدلُّ على النّجاة وعدم الإلقاء في النار⁽²⁾.

ويظهر أثر ذلك الاحتباك من الناحية البلاغية من حيثيات عدّة:

أولاً: الإيجاز والإحكام: يُعطي التركيب قوّةً بيانيةً دون تطويل.

ثانياً: الإثارة والتدبر: يُحفّز المخاطب على التّفكّر لاستخراج المعاني المحذوفة.

ثالثاً: التّقابل المعنوي: يُظهر التّباين بين الحالتين (الإلقاء في النار والخوف، مقابل الأمن يوم القيامة)، هذا الأسلوب يُجلي التّفاوت الشّديد بين مصير الكافر والمؤمن بأسلوب موجزٍ ووافٍ.

نكتة تقديم إلقاء النار على إتيان الأمن:

ذَكَرَ الإلقاء فِي النَّارِ أَوَّلًا والأمن ثانياً في قوله: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا﴾؛ لأنّه لما تقدّم ذِكْرُ الإلحادِ فِي الآياتِ، ناسبَ أن يتّصلَ به من التّقرير مَنْ اتّصف

(1) الشّيوطي، الإتقان: 3/ 204، وحَبَّكَة، البلاغة العربيّة: 1/ 347.

(2) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَر: 17/ 199، وابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 305.

شتان بين
مصيرين
أحدهما في
النار، والآخر في
الجنة

لا عيش من غير
أمن

به، فوصلَ الجنايةَ بجزائها، ولذلك لم يكن التركيبُ: (أمن من يأتي
أمنًا يوم القيامة، كمن يُلقى في النار)⁽¹⁾.

نكتة جعل الأمن في مقابل الإلقاء في النار:

في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا﴾
"ذكر الإلقاء في النار أولًا دليلًا على دخول الجنة ثانيًا، وذكر
الأمن ثانيًا دليلًا على الخوف أولًا"⁽²⁾؛ لأنَّ الإلقاء في النار مقصودٌ
بذاته في إيقاع العذاب، ولم يذكر دخول الجنة، وذكر الأمن؛ لأنَّ
الأمن مقصودٌ لذاته في حقيقة العيش؛ فالأمن هو الحال الحقيقية
المقصودة لذاتها للمقام في الجنة وفي كلِّ مقام وحال⁽³⁾. وأيضًا:
ذكر الأمن وعدم ذكر دخول الجنة في مقابل الإلقاء في النار؛ لكون
ذلك أحمَد وأمدح لحال المؤمنين؛ لأنَّ مفهوم الكلام: أن الآتي آمنًا
خير ممَّن يُلقى في النار، فكيف من يُكرم ويدخل الجنة؟⁽⁴⁾، وأيضًا:
لأنَّ الأمن من العذاب أعمُّ وأهمُّ من دخول الجنة⁽⁵⁾؛ بل لابد أن
يحصل الأمن أولًا من الإلقاء في العذاب حتَّى يحصل دخول الجنة،
فكانه لما ذكر الإلقاء في النار، ذكر بعده النجاة منها، فعبّر عن
ذلك بالأمن.

دلالة التعبير بالترفضيل: ﴿خَيْرٌ﴾:

التعبير بالترفضيل ﴿خَيْرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُلْقَى فِي النَّارِ
خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بديع في إظهار المفارقة والتناقض
بين حال الهلاك والعذاب في النار.

وحال الأمن والسلامة يوم القيامة، والمفارقة هنا ليست فقط في

لا خيرية في من
يلقى في النار قط

(1) أبو حيان، البحر الحيط: 9/ 309.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 199.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 199.

(4) ثناء الله الهندي، التفسير للظهري: 8/ 300.

(5) الألوسي، روح المعاني: 12/ 378.

المَصِيرَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ؛ بل في استحالةِ المُقارَنةِ بينهما؛ لأنَّ الأَمْنَ يومَ القيامةِ هو الغايةُ الكبرى الحميدة، بينما الإلقاءُ في النَّارِ عبارةٌ عن المُنْتَهَى الأَفْظَعِ سوءًا.

وفي التَّفْضِيلِ بـ ﴿خَيْرٌ﴾ تقريرٌ ضمنيٌّ بعدمِ المساواةِ، فكأنَّ الآيةَ تسألُ سؤالًا استنكاريًّا، والإجابةُ الواضحةُ عليه ضمنيًّا: لا يمكن أن يكون مَنْ يُلْقَى في النَّارِ خيرًا أو حتى مساويًا لِمَنْ ينالُ الأَمْنَ والنَّجاةَ. وفي التَّفْضِيلِ بـ ﴿خَيْرٌ﴾ توجيهٌ للعقلِ أن يتفكَّرَ ويختارَ الطريقَ الذي يُؤدِّي إلى الأَمَنِ، وَيُبْعِدُ عن الهلاكِ، ولا يخفى ما في هذا الأسلوبِ من تهيجٍ وازعِ المسؤوليةِ عند المُخاطَبِ تجاهَ أفعاله وما يترتَّبُ عليها من عواقب.

وأيضًا: هذا الأسلوبُ المُستعملُ في المفاضلةِ و﴿أَمْ﴾ المتَّصلةِ في سياقِ التَّخْيِيرِ وطلبِ التَّعْيِينِ فيه تحريكٌ للإقناعِ واليقينِ بأسلوبٍ غيرِ مباشرٍ، فبدلًا من التَّصريحِ بأنَّ المؤمنَ في نعيمٍ والكافرِ في شقاءٍ، يُستخدمُ أسلوبُ المُقارَنةِ الحاصلُ بالاستفهامِ و﴿أَمْ﴾ المتَّصلةِ، وأسلوبُ التَّفْضِيلِ؛ لإبرازِ النتيجةِ بانتزاعٍ من الوجدانِ والعقلِ، وهو أقومُ في تسجيلِ الحُجَّةِ وتكريمِ المُخاطَبِ واعتبارِهِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالإتيانِ في: ﴿يَأْتِيْ ءَامِنًا﴾:

أصلُ فعلٍ (أتى): المجيءُ بسهولة⁽¹⁾، وبإعمالِ هذا الأصلِ في السياقِ، فإنَّ الإتيانَ في قولِهِ: ﴿يَأْتِيْ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ينقلُ التَّصوِيرَ الحركيَّ لِلنَّاجِيِ الأَمَنِ يومَ القيامةِ، فيُصوِّرُ المؤمنَ يومَ القيامةِ وهو يتحرَّكُ من موقفِ الحشرِ إلى موقفِ الأمانِ، وكأنَّه يخطو نحو النُّعمةِ والطَّمانينةِ، وهذا يوحي بحالِ السُّهولةِ واليسرِ التي يتمتَّعُ بها المؤمنُ في مقابلِ الفرعِ والرَّهبةِ التي يُعالجها الكافرُ.

(1) الرَّاغِب، المُفْرَدَات: (أتى).

غَايَاتُ الْمُؤْمِنِينَ
بِالْغَوْهَا بِسُهُولَةٍ
وَاخْتِيَارٍ طَوْعِيٍّ

الدلالة على
الاختيار والإرادة

وهذا السر في المجيء لا يمكن إلا أن يقع عن اختيار وطواعية، فأوحى التعبير بالإتيان عن انتفاء القسر عليه، ويكأن ذلك إشارة إلى أن ذلك كان نتيجة لاختياره السليم وسعيه طوعاً في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح، بما يشير إلى استحقاقه تلك الحال وهو الإتيان آمناً.

إظهار خصوصية
المؤمن في الموقف
العظيم

وصف المؤمن بالإتيان آمناً يُظهر خصوصية المؤمن رغم هول الموقف، فإتيانه على حال الأمن حيث يُبعث الجميع ويُجمعون في موقف رهيب، وسط أهوال ذلك اليوم - يبرز خصوصية حاله إذ اختير واصطفي من بين هؤلاء للإتيان الآمن.

دلالة اقتران الإتيان بحال الأمن في: ﴿يَأْتِي آمِنًا﴾:

كلمة ﴿آمِنًا﴾ حال من فاعل ﴿يَأْتِي﴾ في قوله: ﴿يَأْتِي آمِنًا﴾، كأنه قيل: (إتيانه حاصل على هيئة الأمن)، والتقييد بتلك الحال يدل على السلامة الشخصية للمؤمن، فهو يأتي سالماً وآمناً، دون خوف أو عذاب، وفيه إشارة إلى تمام نجاته وسلامته من كل أهوال الموقف.

الإيمان هو شرط
الأمان والسلام
في الدنيا والآخرة

دلالة القيد الظرفي في قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾:

تؤكد حال الأمن وتستمر بالقيد الظرفي ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، الذي يدل على أن الإتيان على حال الأمن تُصاحب المؤمن من لحظة البعث وحتى موقف الحساب وما بعده، مما يدل على دوام النعمة واستقرارها.

لا أمان بدوهم،
إلا أمان يوم
القيامة، إن كان
مؤمناً

موقع جملة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ممّا قبله:

جملة ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ استئناف تذييلي⁽¹⁾ لإطلاق اختيارهم فيما شاءوا من العمل، بعد تخييرهم في تقرير الجزاء الأوفى من الجزاء الأدنى بطريق الاستفهام التقريري الإنكاري، فأنتج ذلك من ذاك؛ لأن العمل كيفما شاءوا لا يكون إلا بعد توضيح كيفية

حرية الاختيار
منوطة
بمسؤولية
الحساب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 305 / 24.

المصير بإطلاعهم على احتمالات العقوبة والوعيد التي يجترونها بسوء أحوالهم، فبنى الوعيد من خلال إيكالهم إلى أعمالهم على الوعيد من خلال تفصيل الجزاء لهم.

غرض فعل الأمر: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾:

مهما عمل
الإنسان، فلا
مفرّ له من
عاقبة أعماله

الإغراء المكنى به عن التهديد يزيد من وقع التهديد

الأمر في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ مُستعمل في التهديد، أو في الإغراء المكنى به عن التهديد⁽¹⁾، فالفعل ﴿اعْمَلُوا﴾ الذي هو في الأصل صيغة أمر، لا يُراد به حقيقة الإذن أو الإباحة، وإنما أخرج عن معناه الأصلي إلى غرض التهديد؛ تحذيرًا للمُخاطَبين وتهديدهم بعواقب أفعالهم الوخيمة، فلا يُفلحون مهما عملوا من أعمال باطلة. ودليل هذا الأسلوب شائع في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: 30]. وعلة تخريج الأمر في: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ على المجاز لا الحقيقة: قرينة السياق؛ لأنه يتبعه في السياق ما يدل على الجزاء والعقاب، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ رِيًّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، يعني: أن الأعمال مرصودة ومحسوبة.

أو يُراد من الأمر: الإغراء المكنى به عن التهديد، فالإغراء هنا: تشجيع ظاهري، ولكنه في حقيقته تورية عن التهديد، كأن الله يترك لهم الخيار ظاهرًا ليختاروا ما يشاؤون من أعمال، لكن مع علمهم التام بأن العاقبة عليهم، فيكون إغراءً مجازيًا يقود إلى التهديد.

والمقصود بالإغراء هنا: هو ترك المُخاطَبين كأنهم في حال من الحرية المطلقة مع تحملهم لعواقب أفعالهم، فيزيد ذلك الأسلوب من وقع التهديد عليهم؛ لأنه أشعر المُخاطَب بظاهر الحرية، لكنه يُدرك أن تلك الحرية مألها الجزاء الرهيب، فالإغراء والتهديد هنا متلازمان، لاتخاذ الإغراء وسيلة لتحقيق التهديد.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 305 / 24.

وأيضاً: يصح أن يكون الغرض من الأمر هنا ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ التحدي لهم والاستنكار عليهم، كأنَّ الله يقول لهم: افعلوا ما يحلو لكم فأنتم في حكمه وتحت سيطرته، ولا يخفى ما فيه من إظهار عجزهم التام عن الخروج عن حكم الله. وأيضاً: يصح أن يكون الغرض من الأمر: الاستهزاء والتوبيخ كأنه يُقال لهم: اعملوا ما شئتم، فمهما بلغت أعمالكم من الكثرة في السوء والشر، فلن تعجزوا الله، ولن تضرّوا إلا أنفسكم.

موقع جملة: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

جملة: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تعليلية لقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، والجملة التعليلية هي قرينة التهديد المراد من صيغة الأمر في: ﴿اعْمَلُوا﴾⁽¹⁾.

نكتة تقديم شبه الجملة على المبتدأ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

قدّم الجار والمجرور الواقع خبراً في قوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ لاختصاص أعمالهم عناية واهتماماً بها⁽²⁾؛ لأنها مناط الجزاء، فيتعلّق التهديد بها؛ وفائدة هذا الاختصاص المستفاد من التقديم: إشعار المخاطب بشدّة الإحاطة الإلهية بكلّ تفاصيل أفعاله، بما يؤكّد معنى التهديد؛ فيعلم أنّه لا مجال للغفلة فيما يعملهُ، ولا مجال للإفلات من الجزاء على ما عملهُ.

أيضاً: في تقديم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ على ﴿بَصِيرٌ﴾ مراعاة للترتيب الواقعي في المعنى؛ فالجملة تتطابق مع ترتيب الوقائع: العمل أولاً، ثمّ مراقبة الله له للحساب والجزاء. وأيضاً: في تقديم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ على ﴿بَصِيرٌ﴾ إظهار للاهتمام بالفعل أكثر من الصفة؛ ليتنبّه المخاطب إلى أنّ الصفة ﴿بَصِيرٌ﴾ تعلّقت بأعماله خصوصاً، فيحمله ذلك على تجويد العمل والتوفّر عليه إحساناً وإتقاناً.

أعمال الإنسان
هي أحقّ شيء
بعنايته ومراقبته

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 309، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 15، ودرويش، إعراب

القرآن وبيانه: 8/ 569.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 200.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 52 ، 818 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 3-48-641-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 3-48-641-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"